الأصالة

مجلة ثقافية تصدرها وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية

يوغورطة

إنصاف لا تشريف

عبد الكريم غلاب
رئيس اتحاد كتاب المغرب
ومدير جريدة
«العلم» المغربية

ان قرار الامم المتحدة اعتبار اللغة العربية لغة رسمية لن ينهض بمستواها. تلك مسؤوليتنا وليست مسؤولية المنظمات الدولية ، ومع ذلك فسيكون من العار ان يتحدث الناس بلغة عربية في قصر اليونيسكو وفي ناطحة السحاب التي تسكنها الامم المتحدة ، وتشتغل نحن في الرباط او الجزائر او تونس الفرنسية لا في حديثنا ، ولكن كذلك في مدارسنا ومراسلاتنا .

بعث الينا الاستاذ عبد الكريم غلاب هذا المقال الثاني بعد قرار الامم المتحدة اعتبار اللغة العربية لغة رسمية . فله منا جزيل الشكر

قررت الامم المتحدة اعتبار اللغة العربية لغة رسمية في المنظمة واستعمالها كلغة للمناقشة والمعاملة والمراسلة في اجتماعات الجمعية العامة والمؤسسات التابعة لها. وكانت منظمة العلوم والآداب والتربية (اليونيسكو) قد قررت منذ بضع سنوات استعمال اللغة العربية لغة رسمية .

ولا اعتبر القرارين تشريفا للغة العربية ، ولكني اعتبرهما انصافا ليس غير. ذلك ان اللغة العربية لم تكن في حاجة الى استعمالها في المنظمات الدولية لتحتل مكانتها العلمية والدولية ، ولكنها كانت في حاجة فقط الى انصاف من اهلها ، ومن الآخرين ، لتحتل هذه المكانة .

هي احدى اللغات التي عاشت اكثر من اربعة عشر قرنا ـ على الاقل في وضعها الحالي ولهجاتها المعاصرة ـ باستمرار وبدون توقف ولا تحول ، قائمة بمهمتها الفكرية والادارية والسياسية على نطاق واسع في العالم العربي والاسلامي والدنيا التي كانت تتعامل مع العالم العربي والاسلامي .

وقد نهضت هذه اللغة برسالتها الفكرية والدينية عن طريق القرآن الذي كان وما يزال ابلغ كتاب واصح كتاب واسلم كتاب عاش هذه الفترة الطويلة من الزمان بنفس اللغة التي نزل بها ، فلم يكتبه الاحبار والرهبان ولم يشيفرا اليه ويتزيدوا عليه ويقتصوا من اطرافه ويبروه حسب ما اتى اليهم من اخبار كما عمل الاحبار والرهبان ببعض الكتب السماوية التي كتبت بلغات ولهجات حتى لا يستطيع احد ان يعرف اللغة التي نزلت بها ، ولكنه الكتاب الذي استطاع ان يحتفظ بلغته والفاظه واسلوبه وتراثيه في هذه الفترة الطويلة من الزمان .

وعن طريق هذا الكتاب استطاعت اللغة العربية ان تحتفظ بمكانتها العلمية والدينية والادبية ، كما استطاعت ان تحتفظ بمكانتها الديوانية اي الادارية .

اذن هناك قابلية هذه اللغة للحياة وقابليتها للتطور والنمو تفوق قابلية اللغة الصينية واليونانية مثلا ، وهما من اللغات التي عاشت عصور الحضارة القديمة رغم ما دخل عليهما من تغيير اساسي خلال عصور التاريخ .

وقابلية اللغة العربية ليست عملية ذاتية ، بحيث تكفي هذه القابلية لتطور اللغة العربية وتنمو وتساير العصر ، ولكنها عملية مرتبطة باهلها ، كما ان حفظ هذه اللغة وسلامتها طيلة تاريخها الطويل لم يكونا عملية ذاتية ، وانما كانا عملية مرتبطة باهل اللغة من علماء وادباء ورجال الدواوين والادارة. هؤلاء جميعا هم الذين حافظوا على القرآن ـ بعد حفظ الله له ـ وحافظوا على التراث العربي الادبي منه والعلمي واستمدوا منه القدرة على التعبير والاحياء وممارسة التفكير والتعبير العلمي والاداري والادبي .

لم تكن اذن اللغة العربية في عصر ما عاجزة عن استيعاب فلسفة اليونان ولا حكمة الصين والهند ، ولا عن العلوم التجريبية والرياضية التي ابتدعها العرب او اخذوا بعض اصولها من غيرهم وطوروها ونهضوا بها. وهذا ما يؤكد انها غير عاجزة اليوم عن ان تنهض بهذه المهمة .

من الواضح ان التطورات العلمية والرياضية في العصر الحاضر قد تفوق في يوم من حياة العلم التفوق الذي حدث في قرن من حياة العلم في الماضي ، وهذا ما يعمق من مسؤولية اللغة او قل اللغات جميعها. ولكن هذه المسؤولية

المشتركة ، التي يدعوها تطور العلم الى التعبير عنه ، ليست مسؤولية اللغة بمقدار ما هي مسؤولية القائمين عليها. فكل اللغات سواء ازاء تطور العلوم ، وكل اكتشاف علمي او حضاري يخلق ويبتدع وهو لا يحمل اسمه. ولكن الناطقين باللغة من علماء ومثقفين يشتقون له اسما او يبتدعونه في الحال ثم يصبح جزء من اللغة ، ويألفه اهل اللغة من كاتبين وناطقين ولو كان نافرا او ثقيلا او غير مستساغ في بداية الامر .

ولكن من الواضح كذلك ان اهل اللغة العربية لا يشاركون في هذه النهضة العلمية والفكرية كي تستطيع لغتهم ان تساير ركب اللغات الحية التي تسير في ركب العلم. فهذا التخلف العلمي والحضاري يعقبه ولا شك تخلف لغوي. ويزيد في تعقيد المشكلة ان هناك اسرة لغوية علمية مشتركة بين اللغات الاوربية على الاقل. فالمخترع العلمي في بلد ينطق بالانجليزية يوضع له اسم او مصطلح مأخوذ او منحوت او موضوع من اصل انجليزي او مقتبس من مثيل له اغريقي او لاتيني ، ولكنه يصبح مصطلحا علميا في سائر لغات العلم باوربا ، لا تنفر منه الفرنسية ولا الاسبانية ولا الالمانية او الايطالية وربما لا تنفر منه الروسية او التشيكية او البولونية. اما في العربية ، فالمشكلة معقدة بعض الشيء اذ اننا نرغب في تعريب المصطلحات حتى لا تطغى على لغتنا العجمة مع طغيان المفردات العلمية .

هل لا يضر اللغة العربية في شيء ان تتبنى جميع المصطلحات العلمية الاجنبية التي تتوارد على الميدان العلمي والرياضي يوميا بالالاف. وعند ذلك تصبح لغتنا العلمية مشتركة مع سائر اللغات ؟

أم انها مضطرة الى ترجمة الكلمات العلمية عن طريق الاقتباس من الماضي او الاشتقاق والتوسع ؟

هنا نقف امام مسؤولية اختيار. لو اخترنا الجواب عن السؤال الاول بالايجاب لاصبحت لغتنا ، العلمية على الاقل ، بعد سنوات ، اجنبية لا تمت الى العربية بصلة ، ولن تعود لنا من لغة العلم الا كلمات الربط لتكوين جملة عربية سليمة كبعض الافعال والحروف .

هذه وجهة نظر. ولكن ينقضها ان المصطلحات العلمية الحديثة لا تنتمي للغة معينة ، فهي لغة علم مشترك بين الحضارات العلمية في العالم . واستعمال هذه الالفاظ لا يضر العربية في شيء ، فقد اقتبست كلمات يونانية وفارسية في عصر الترجمة والوضع العلمي وهي يومئذ لغة قوية لها مكانتها العلمية والادبية الدينية. فاذا اقتبست الآن من اللغات المتطورة علميا مصطلحاتها فستوفر جهدا ، وستدفع باللغة الى امام في طريق مسايرة الجهود العلمي .

اما اذا كان جوابنا على السؤال الثاني بالايجاب فقد تعترض العربية مشكلتان او عدا ثلاث :

اولاها : البطء وعدم مسايرة التطور العلمي بالسرعة المطلوبة. فليس من السهولة في شيء ان نتابع ميدان العلم التجريبي والرياضي وميدان الحضارة الحديثة بالسرعة المطلوبة ونحن نلهث وراءه لترجمة كل كلمة ـ ويصدر منها يوميا الالاف .

وثانيها : اننا قد لا نجد الكلمات الضرورية ذات الاصل العربي لان الكلمة الاجنبية الموضوعة

نفسها لم يكن لها اصل في الانجليزية او الفرنسية وعند ذلك نقع في المشكلة الاساسية : مشكلة الفكر واللغة .

وثالثها : ان لغتنا ستكون عملية معزولة بحيث يصعب تبادل الفكر العلمي معها، واذا صح هذا الانعزال في الميدان الادبي الذي يعتمد على المقومات الذاتية والقومية والاحاسيس الشرعية الا . فانه لا يصح في الميدان العلمي الذي هو حقل مشترك بين البشر جميعهم .

اذا كانت اميل الى الاخذ بوجهتي النظر . اي اجيب من المؤلفين معا بالايجاب بمعنى اننا يجب ان نترجم ما يمكن ترجمته وان نقلبس من اللغات الاجنبية ما يجب الاقتباس منه ، فليس معنى ذلك اني اتخذ رأيا نهائيا في الموضوع . وكم احب ان يشارك نور الرأي في هذا الموضوع بما يعن لهم من اراء . وان كان المخالفون من اعضاء المجامع العلمية قد لا يرضيهم ان نتدخل نحن ـ غير الاعضاء ـ فيما لا يعنينا ، في انتظار مقرراتهم الايجابية ... وما نظنها ستصدر الا بعد ان يتجاوز العلم السماكين . وقد تجاوزهما .

نحن الذين مدعوون ان ننهض بلغتنا . ومن المؤسف ان نضيف : مدعوون ان نستمر لغتنا حتى في تعليم : ١ + ١ = ٢ وفي الادارة التي لا تحتاج اكثر من لغة مبسطة لا هي علمية ولا ثقافية . ومدعوون ان نمنح لغتنا مكاناتها الحقيقية في بلادنا قبل ان تمنحها اياها الدول الاجنبية او المنظمات الدولية .

واحب ان اضيف ان قرار الامم المتحدة اعتبار اللغة العربية لغة رسمية اذا كان ليس تشريفا للغة العربية ، فهو لن ينهض بمستوى اللغة العربية . فتلك مسؤوليتنا وليست مسؤولية المنظمات الدولية . ولكن مع ذلك سيكون من العار ان يتحدث الناس بلغة عربية في قصر اليونيسكو بباريس ، وفي ناطحة السحاب التي تشكلها الامم المتحدة في نيويورك وتستمر نحن في الرباط او الجزائر او تونس الفرنسية لا في حديثنا فحسب ، ولكن كذلك في مدارسنا ومراسلاتنا .